

المشهد الكاظمي في كتابات الرحالة الأجانب

✪ أ.م.د.احمد عبد الواحد عبد النبي*

● مقدمة :

مدينة الكاظمية من المدن العراقية القديمة، لها اهمية في التأريخ قديماً وحديثاً، تعد من المدن المقدسة والمباركة وفيها مرقد الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (عليهما السلام) وتقع في جانب الكرخ من العاصمة بغداد^(١). نالت هذه المدينة على مدى التأريخ إهتمام الملك الكشي (كور يكالزو الأول) في الدولة الكاشية التي حكمت العراق بعد سقوط الدولة البابلية الأولى، وجاء اهتمامه بها كونها قريبة من مدينة (عقرقوف) التي كانت تسمى (دو- كور يكالزو) وما تزال آثارها باقية حتى اليوم قرب الكاظمية على نحو ستة أميال عنها من جهة الغرب. وتتميز بضخامة الابنية مما يدل على أنها كانت عاصمة السلالة الكشية منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد والى نهاية السلالة الكشية، وتصبح (عقرقوف) ممثلة لعهد من عهود العراق القديمة^(٢).

وتظل (عقرقوف) الأثر الأول الذي وصل إليه علمنا حيث دعيت إحدى جوانبها الشمالية باسم (الكاظمية) بعد ذلك بعشرات القرون^(٣). بحيث بقيت هذه الارض غير معروفة في التاريخ الاخميني والسلوقي، والفرثي والساساني وكانت موضع اهتمام وعناية وغير خالية من الحياة والسكان^(٤).

* جامعة بغداد - مركز احياء التراث العلمي العربي



● عن مدينة الكاظمية ونشوتها :

أسس الخليفة العباسي المنصور مدينة بغداد عام ١٤٥ هـ ثم بنى سوراً وفرغ من خندقها^(٥)، وانهى المنصور من عمارة مدينته بالجانب الغربي من بغداد عام ١٤٩ هـ حيث اقتطع مقبرة الشونيزي الصغيرة فجعلها مقبرة خاصة بأسرته واقربائه فأسمها (مقابر قريش)^(٦).

وذكرت المصادر التاريخية القديمة أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور جعلها مقابر لقريش حيث أول من دفن فيها ابنه الأكبر جعفر الذي توفي عام ١٥٠ هـ ، قبل دفن الامامين عليهما السلام. كما ذكر المؤرخون ان لها تسميات قديمة في التاريخ منها (دورمكور يكالزو) . والتسمية الأخرى لمدينة الكاظمية (الشونيزية) ومعناها الحبة السوداء وجاءت هذه التسمية أثناء الحكم الساساني وبعدها دفن بها الامام موسى بن جعفر وحفيده الامام محمد الجواد بن علي الرضا ثم تحول اسم هذه المنطقة الى الكاظمية وباتت مكاناً مقدساً يقصده الزائر من جميع انحاء العالم لاسيما العالم الاسلامي^(٧).

ومن الاهمية بمكان القول ان نشوء المدن وتطورها يعد من العناصر المهمة في النهوض الحضاري بوصفها الانموذج الواقعي للاستقرار الحضري. اذ تزاول العناصر البشرية المستقرة فيها الانشطة الحضارية كافة وعلى الرغم من العوامل السياسية فقد اسهمت اساسا في ان تبلغ المدن القديمة (الكاظمية) وغيرها ذلك الشأن من التقدم والشهرة لكن ينبغي الا نغفل او نقلل من حجم العوامل الاخرى التي ساعدت على نشوء

الكاظمية وتطورها كالعامل الديني . وقد نالت مدينة بغداد أهمية كبيرة بمدنها الزاهرة، فكانت مدينة الكاظمية واحدة من إحدى المدن التي لفتت انظار الرحالة والمستشرقين ونالت أهتمامهم لأمر كثيرة لعل من أولها المرقد الشريف للإمامين (عليهما السلام)^(٨).

ولفت هذا المشهد الايماني انظار المستشرقين اثناء رحلاتهم الى بغداد واخذ كل مستشرق يدون اثناء رحلته وزيارته للمشهد الكاظمي الجوانب التاريخية أو العمرانية أو الدينية فيه. وفيما يتعلق ببحثنا هذا ، فقد كرس لروايات الرحالة الذين زاروا بغداد وكتبوا عن المشهد الكاظمي ، لان الرحالة اول من نبه في مؤلفاتهم على اهمية بغداد والكاظمية بشكل خاص. فضلا عن الاثار الموجودة في البلاد ومنها الكاظمية . وقد ركزنا على الرحالة الاجانب الذين زاروا بغداد ونشروا كتباً ودراسات كثيرة عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبغداد والمشهد الكاظمي^(٩).

وكان أمر طبيعي ان تكون بلاد ما النهرين محط انظار عدداً من السياح والرحالة والمستشرقين، لما لتلك البلاد العريقة من شهرة واسعة وصيت ذائع في عوالم الحضارات والآثار وما ورد عنها من اخبار وحوادث في الكتب المقدسة . حيث اسهم عدد كبير من الرحالة الاجانب اسهاما ايجابيا بتقديم معلومات جديدة ومفيدة عن مدينة بغداد وقت رحلاتهم، ولعل من ابرز تلك المعلومات هي الكشف عن الاثار والحضارة العربية والاسلامية والكشف عن حلقة مجهولة حول تلك المدينة^(١٠) .

وأياً كانت دوافع الرحالة المعلنة منها والخفية

● المشهد الكاظمي من خلال كتابات الرحالة ومشاهداتهم له :

١ / الرحالة الايطالي بيترو ديلافاليه Pietro DELLA VALLE :

بدأت تلك الرحلة في سنوات مبكرة من القرن السابع عشر اذ زار الرحالة الايطالي بيترو ديلافاليه العراق عام ١٦١٦ م ، وتحديد مكان المشهد الكاظمي اذ كتب " وصلنا بعد الظهر الى مكان يدعى الإمام موسى وهو مزار يكرمه المسلمون وتكثر النساء خاصة من زيارته يوم الجمعة ويأتيه المؤمنون من بغداد وهو يبعد عن المدينة المذكورة مسيرة ساعة كما يقصده الزوار من بلاد اخرى خاصة فارس لانه يضم الإمام المذكور ^(١٢) . توقفنا عند هذه البلدة منتظرين رجال المكوس وامضينا ليلتنا هناك فاقبل رجال الحكومة ليستوفوا الرسوم من القافلة لكنهم لم يجدوا فيها ما يجديهم نفعا، لان التجار المحتالين كانوا قد هربوا النقود الى مدينة بغداد اثناء الليلة السابقة وقسم كبير من الاموال داخل احمال من الحشيش والقصب وما شاكل ذلك فوصلنا الى المدينة ولم يتركوا الا شيئا يسيرا لابعاد الشبهات عنهم كانوا من التجار المعروفين في الغنى ^(١٣) ."

وفي اليوم التالي من الرحلة وتحديد في العشرين من تشرين الاول عند الظهر يصف مغادرة المدينة ومنظر المشهد الكاظمي حيث يقول " تركنا منطقة الإمام موسى وسرنا باتجاه بغداد ونزلنا في دار اعدت لي ولم تكن الدار في جانب النهرين، الكرخ وانما في الجانب الاخر الرصافة وهو القسم الاكبر من بغداد والاكثر اهمية فاخذنا نصيبنا من الراحة بعد ذلك السفر الشاق للغاية " ^(١٤) .

فقد اتصف اغلب الرحالة ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف وتقصي الحقائق في تسجيل مشاهداتهم بأمانه ، كما حرص معظمهم على التفريق بين المشاهدة والرواية عند تسجيل معلوماتهم وتبرز قيمة الرحلات بوصفها مصدرا من مصادر الثقافات الانسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع بغداد خلال فترة زمنية محددة . لذا كان للرحلات قيمة تعليمية ثقافية.

وتجد الرحالة والمستشرقين قد حققوا انجازات كبيرة في اهتمامهم بالارث الفني من تراث مدينة بغداد بشكل عام والكاظمية بشكل خاص وفي القرون الاربعة الاخيرة اتسمت بنشاط كبير في ميدان الرحلات والسيادة، فقد زار بغداد بين عامي ١٥٥٣-١٩١٤ ثماني وتسعون رحالة من جنسيات مختلفة . حيث ان الرحلات قديمة قدم الانسان ذاته اذ عرفها منذ العصور القديمة، وان اختلفت اهداف الرحلة وتباينت وسائل السفر وتنوعت مادتها . ومع ذلك فأن كتابات الرحالة ايا كانت توجهاتهم ونزعاتهم الشخصية تصور الى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه . كما تصف الكثير من ثقافة البلدان التي ذهبوا اليها ، واحوال الشعوب التي اختلطوا فيها . وتتضح من هذا الفهم الحضاري أصالة عطاء مدن العراق عموما والكاظمية خاصة، نقوم بهذا البحث لمتابعة بعض ما سجله الرحالة الاجانب في مذكراتهم عن المشهد الكاظمي، وانها شهادات بحق هذه المدينة العظيمة وعطائها ^(١١) .



٢/ رحلة كارستن نيبور Carsten Niebuhr عام ١٧٦٥ :

اما الرحالة نيبور والذي بدأت رحلته عام ١٧٦٥ فقد بين مانصه: " لم اتمكن من زيارة ضواحي بغداد والمناطق المحيطة بها ولاسيما تلك التي تقع في الجانب الغربي من دجلة لانها كانت في اثناء زيارتي لمدينة بغداد غرقت جمعاء فهي رطبة وفي هذه الجهة كثير من البساتين غير انها قليلة السكان بالنسبة الى الاقسام المسكونة الاخرى من المدينة وان طرفها الشمالي كان مشيدا من غير شك على بقعة من بغداد العتيقة وكانت تمتد بلا ريب من هناك الى مشهد موسى بن جعفر ، ففي هذه الارض جميعها اثار بنايات ومساجد وقبور مسلمين مشاهير ماتوا في المدينة" (١٥) . ولم يكتفِ كارستن نيبور بوصف مدينة بغداد بل زاد بالوصف ليصف لنا المشهد الكاظمي بشيء من الدقة حيث قال "هي قرية صغيرة تسمى الكاظم وهناك المسجد الكبير مع تربتين لامامين من أئمة الفرس (١٦) هما الامام موسى الكاظم -اي الصبور- وابن ابنه وحفيده محمد الجواد وهذا المشهد الاسلامي مدعاة للفخر . فأُن قبتيه الشاهقتين والمنارة كانت قد زينت ظواهرها على الطراز الفارسي بحجارة مطلية وهي اليوم في تكسر مستمر (١٧) . وموضع هذا المسجد ليس كما هو حال مشهد علي ومشهد الحسين ، فأُن المنازل والدور قائمة ولكنها على حافة الهاوية . وقد قتل موسى بن جعفر عام ١٨٥ هـ بأمر الخليفة القائم -الرشيد- (١٨) يزور هذا المسجد كل يوم ناس كثر منهم من اهل بغداد . وان اكثر الشيعة لا يستطيعون نقل

امواتهم الى مشهد علي لعجزهم عن الانفاق او غير ذلك لذا يدفنوهم في مقبرة موسى الكاظم (مقابر قريش) وفي هذا ما يكسب المشهد اموالاً وفيرة" (١٩) .

٣/ الرحالة الفرنسي اوليفيه OLIVIER عام ١٧٩١ :

يصف الرحالة الفرنسي اوليفيه مدينة بغداد بشكل عام والمشهد الكاظمي بشكل خاص ، اذ يقول "كانت بغداد تمتد ايام العباسيين حتى الامام موسى الكاظم من جهة وحتى الامام الاعظم من الجهة الاخرى وهي قرية واقعة على بعد نصف فرسخ* الى الشمال الغربي من بغداد على الضفة الشرقية من دجلة واسمها الحقيقي Maadem وقد اعطي لها الاسم الاخر نسبة الى المسجد الذي دفن فيه ابوحنيفة احد علماء الاسلام والمسمى بالاعظم ... وعلى الجانب الاخر من دجلة وعلى بعد فرسخ من بغداد وربيع الفرسخ من النهر تقع قرية موسى الكاظم المسماة كذلك ايضا بسبب الجامع الذي يضم رفاة هذا الامام المسلم ، فأُن موسى الكاظم ينحدر من سلالة محمد (ص) من ابنته فاطمة زوج علي" (٢٠) .

٤/ رحلة ابي طالب خان * :

يحدثنا أبو طالب خان في رحلته عام ١٨٠٣ عن المشهد الكاظمي ومن خلاله عن المرقد الشريف فيصف لنا مانصه " واذا كانت غايتي بسلوكي هذا الطريق ان ازور بقايا اجساد الشهداء والاولياء من مذهبنا المسلمين الشيعة وزيارة قبور عدة لاجداد الصالحين الاتقياء من ذرية النبي (ص) خصصت القسم الاكبر من وقت اقامتي ببغداد بقضاء هذا الواجب المقدس واشهر المشاهد هي المشاهد التسعة

والسبعون اماما * في مشهد المشهورين باسم كازم-الكازم- ومنه اسم الكازمين- الكازمين- الذي اطلق على المشهد الذي هما فيه والقرية التي شيد فيها هذا القبر هي في مدينة الجزيرة على بعد اربعة اميال من بغداد، ودورها اجمل من دور بغداد نفسها" (٢١).

كما ويصف الرحالة أبو طالب خان المشهد الكازمي الشريف وقبته اذ يقول " ان قبة المشهد شيدت مجددا قبل عدة سنين وطبقت بطابق-طابق- مذهب بنفقات محمد اغا خان قاجار امبراطور البلاد الفارسية، اما الصحن والصور والابواب والسوق فقد اعيد تشييدها بنفقات النواب الاخير اصف الدولة وزير هندستان وليس السوق بكبير جدا ولكنه يشبهه سوق في نظافته وترافته، والمشهد وان كان اقل فخامة من مشهد كربلاء لكن جميل وواسع والقبة التي تضيؤه ملبسة اوراقا من الذهب وسمكها يجعلها مرئية من مسافة خمسة فراسخ وداخل المشهد مرصع بالاجر الملون، لذلك يحدث تاثيرا جميلا في النظر، وهذا النوع من الزينة البنائية مخترع في البلاد ولم يدخل بعد اوربا ولا في الهند. واقسام المشهد المختلفة قد جمعت جمعا فنيا بحيث تمثل كلها، كما يظهر كلا واحدا لا يقربه اتلاف الزمان وفي صحن المدخل قبة مشتملة على رمم ابنين من ابناء الائمة وقد جرت العادة بالصلاة عند قبورهم وحراسة المشهد موكلة الى ناظر وعدة خدام" (٢٢).

ويختتم وصفه للمشهد الكازمي فيقول: " لم اجد مشهدا من هذه المشاهد التي ذكرتها - مشهد الامام علي والامام الحسين والكازمين - مضاء بالليل ولا يمكن ان ينسب هذا الاهمال

الا الى العثمانيين لسوء نواياهم ومقاصدهم او تهاون الحراس وتغافلهم وان مشهد الكازمين ومشهد النجف ومشهد كربلاء ليس فيها بالليل من الضوء الا وميض من مصابيح قليلة، وفي سامراء تسد ابواب المشهد عند غروب الشمس، وبذلك يمنع الاتقياء من الذهاب اليه للصلاة فيه في الساعات التي تجب فيها، وقد ابكاني هذا الامر، ولقد رأيت وفي من الالم قبر احد ائمتنا وقوادنا الروحانيين لا يضيؤه الا مثل نصف الضياء الذي يعم دائما مشاهد اولياء مزعومي الولاية في هندستان" (٢٣).

٥ / رحلة الفرنسي لوي جاك روسو Jacques Rousseau عام ١٨٠٨:

اما رحلة الرحالة الفرنسي روسو والذي يتحدث عن مشاهداته عن المشهد الكازمي والمرقد المقدس فيقول ما نصه " كانت الليلة الاولى التي امضيتها في خيمتي ذات متعة خاصة فالمكان جديد والهواء عليل فتصافرت الظروف لتجعل من رقادي هادئا ولذيذا. وكان صاحبنا - منصور- قد اقام عددا من الرجال على امتعتنا لحراستها اضافة الى خدمي الذين كانوا يتناوبوه الخفارة. في صباح اليوم التالي استيقظت مع بزوغ الشمس لتقع عيناى على قبة الكاظم المذهبة التي تقع على بعد نصف فرسخ من مكان خيامنا، يطلق على هذا الموقع اسم الامام موسى وهي ضيعة كبيرة يسكنها الشيعة، وهناك ضريح الامام موسى بن جعفر حفيده الامام محمد (٢٤) احد الائمة الاثني عشر من سلالة علي ويقال لتلك الجماعة قزلباش*. ان المشهد والضريح الذي يضم رفاته، جرى تشييدهما من جديد تقريبا، وزينا بنقوش كثيرة على حساب محمد اغا خان



وهو عم وسلف فتح علي شاه، وكان الرجل مزيجا غريبا من الورع المضطرب والقسوة الشنيعة يضم هذا المقام حاليا كنوزا طائلة كانت بالأصل مخبأة منذ اجيال طويلة في النجف ذاك الموضع المقدس الذي يضم ضريح علي وقد نقلت الى هنا منذ ان شرع الوهابيون بشن حملات على ذلك المكان بالذات اي النجف فنشبت معارك ضارية . ولا بد من القول بان كل المجوهرات المعروضة امام انظار الزوار الذين يقصدون هذا المكان المقدس ما هي الا هدايا ثمينة من مختلف الامراء ومن الاثرياء من بلاد فارس ومن الهند، فهم اذ يريدون التعبير عن حبهم لأعظم اوليائهم يقدمون لهم ائمن ما عندهم واندر الاشياء التي يملكون" (٢٥).

٦/ رحلة المنشي البغدادي الى العراق عام ١٨٢١ :

كانت تلك في العقد الثاني من القرن التاسع عشر حيث زار الرحالة المنشي البغدادي العراق وبغداد عندما وصل الى المشهد الكاظمي قال: " بنيت بغداد في جانبي نهر دجلة ويرتبط جانبيها بجسر على وجه الماء مستقر على سفن يبلغ عددها ثلاثين عند قلة المياه . وتبعد الواحدة عن الاخرى خمس خطوات تفصل بينهما ، وعرض الجسر ست خطوات ايضا. وفي الجانبين نحو مائة الف بيت. وفيها مختلف الملل من كل مذهب بينهم الف وخمسائة من اليهود وثمانمائة بيت من النصارى . هواؤها طيب وماؤها عذب ، ويشد فيها الحر صيفا فتبلغ درجته ٤٢,٥ درجة مئوية وربما تزيد . والمواسم في الربيع والخريف والشتاء لطيفة، وفي الشتاء يجمد الماء احيانا وتقل الامطار،

ولكن لا يسقط الوفر، والقرى في انحاء بغداد كثيرة وفي الجانب الغربي من بغداد مرقد الامام موسى الكاظم والامام محمد التقي وابي يوسف القاضي الحنفي ومن بغداد اليها مسافة فرسخ وهناك نحو ثلاثة الاف بيت من العرب والعجم كلهم شيعة اخبارية المذهب" (٢٦).

٧/ رحلة الرحالة فيليكس جونز Felix Jones الى العراق عام ١٨٥٠ :

يقول الرحالة جونز في رحلته بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر عن المشهد الكاظمي الآتي: "وبعد ان خرجنا من بغداد واجتزنا اسوارها المتهدمة سرنا في طريق لا بأس به مدة خمسين دقيقة فوصلنا الى الكاظمية ، التي كانت قبابها المطلية بالذهب ومناثرها الرشيقه تكون منظرا خلابا وهي ترتفع في الافق البعيد وتتلاها ما بين بساتين النخيل الخاشعة من حولها على ان ذلك المنظر سرعان ما تبين حقيقة حينما يدنو الناظر اليه من البلدة فيجد ذلك المشهد الجميل محاطا بمجموعة متراسة من البيوت الفقيرة المتهدمة المبنية بالطين والطابوق المفتت . ويسكن البلدة سكانها العرب مع عدد غير يسير من الايرانيين والهنود الشيعة المنفيين من بلادهم لأسباب سياسية او المقيمين للعبادة والتبرك. ويزور الضريح المقدس في هذه البلدة كل سنة عدد هائل من الزوار الذين يتواردون عليه من انحاء العالم الاسلامي كله، وحيثما يقصد الامام علي وذريته ولذلك يجتمع هنا خليط عجيب غريب يجمع بين مظاهر الثراء والابهة ، ومبازل الفقر والشحاذة، كما تجتمع بين الناس ملابس الحرير والاسمال

او الخرق البالية. ومن المحذور على النصارى واليهود التقرب من المشهد المقدس، غير اننا استطعنا ان نشاهد ما يعجب من الاشياء وما يجعل المرء يأسف على عدم مشاهدة الكثير من امثال هذا المبنى الجميل الضخم في بلاد يمكن ان يبني فيها على طرازه " (٢٧). ويضيف جونز عن مشاهدته للمشهد الكاظمي قائلاً: " فقد وجدنا الصحن المربع المحيط بالحضرة مزدانا بزينة الموزاييك الغنية بالقيم الفنية والجدران مزوقة بالايات القرآنية والجمال الدينية المكتوبة بالاحرف العربية الجميلة. ولما كنا ونحن نمر بالبلدة المقدسة في عشية يوم النوروز فقد كان من الممكن للمرء ان يشاهد في كل مكان امارات الفرح والحبور ترتسم على وجوه الناس وتمتزج بتعابير العبادة والخشوع الظاهرة عليهم. هذا وقد مررنا في طريقنا بأناس قادمين من كل حذب وصوب، ومنتمين الى كل عنصر وعرق، فمن سكان التبت وكشمير والافغان وايران الى المغول والعرب. كانوا يغذون السير راكبين او راجلين ليصلوا الى مبتغاهم فيستطيعوا اداء الزيارة في صباح اليوم التالي من دون تاخير. كما مررنا بأخرين كانوا قد فرشوا سجادهم او عباءاتهم على قارعة الطريق، واخذوا يؤدون الصلاة بكل نشاط واخلاص. وقد كانوا وهم يستقبلون القبلة للقيام بهذا الواجب الديني المفروض، تبدو في وجوههم شتى المشاعر والاحاسيس ومختلف السمات. ومن الممكن ان يقال انه لا يوجد اي مكان اخر في العالم يجتمع فيه مثل هذا الخليط من الناس وهذا الاختلاف في المشاعر والتعبير. على ان تقاسيم وجه العربي المعبرة، اذا ما ضمت الى لباسه الجذاب

وحدة نظره واستقلال شخصيته مع سلاحه المطروح الى جانبه " (٢٨). ويختتم فيلكس حديثه وانطباعاته عن هذه المدينة فيقول: " وبعد ان يبتعد المرء قليلا عن البلدة تبدأ منطقة التاجي التي تمتد البادية من حولها الى جانب بساتين النخيل التي لا تمتد عن ساحل النهر الى ابعد من ثلاث مئة ياردة. وتأتي بعد ذلك مستنقعات عقرووف المتكونة من فيضان الفرات الذي يبعد عنها بمسافة خمسين ميلا ويتصل بدجلة عن طريقها، فتحاط الكاظمية وبساتينها على هذه الشاكلة بالماء من جميع الاطراف وتصبح وكأنها جزيرة في وسط بحر متلاطم الامواج " (٢٩).

٨ / رحلة الليدي درور Lady Drur الى العراق :

اما الرحالة الليدي درور في رحلته الى العراق، فقد اعطى انطباعات واسعة عن المشهد الكاظمي جاء فيه: " وانك لترى فيها القباب المغشاة بالذهب المطروق، والمنائر المستقيمة النحيفة وكأنها زهور السوسن والابواب المزينة بالكاشاني البديع وصحون الجامع الجميلة. وتتلاً القباب والمنائر وهي تلامس أشعة الشمس فتراها من بعيد متعالية بين باسقات النخيل. ان جمالها ليسحر اهل الدنيا جميعا. ولو دخلت المدينة نفسها وجدت في طرقاتها الضيقة الملتوية وجوانبها المتعرجة ووصلت باب المسجد الاكبر لما تسنى لك اكثر من ان تتشوف الى داخله ومن رواقه المكشوف بالذات ذلك ان نظرات الاستنكار تلاحق كل مستطلع غريب " (٣٠). ويصف الليدي درور المرقد الشريف فيقول: " وفي المسجد الكبير مرقد الامامين السابع والتاسع، انه كالجوهرة



المكونة ، وللمسجد هذا سبعة ابواب احبها الى قلبي الباب الشرقي الذي يصح ان نسميه - باب الزهور- فالزهور التي ترسم بزلاجة جد كبيرة. ويزدهي الباب باللونين الوردي والازرق ، وهو مطعم بالصدف في كثير من الجوانب. وقد تشاهد ايضا قطع المرايا وقد جعلت جزءا من بنائه . ان الطابع العام يبعث البهجة في النفس. وفي مقدور المرء ان يلاحظ من خلال الطاق الوسيح منظر الجامع الجميل بمناظره وقبابه الذهبية وضحنه. ان الكاشان على اختلاف الوانه يزين غرف الجامع كلها، وعلى جدرانها خشب محفور، وفسيفساء متلألئة ومرايا، وامام باب الزهور نافورة مغطاة بالكاشاني ولا ماء فيها لانها جميلة جدا، لكن الوانها اكل عليها الدهر وشرب وهي مسدسة الاضلاع ومزخرفة وفي مقدورك ان ترى منظرا جميلا اخر من الباب الشمالي . ان صحن المسجد وفيه المرقد والباب جميل ايضا . وعلقت عليها سلسلة ثقيلة من نحاس، ولا اعلم سببا لذلك . ويضاهي الباب الغربي الكبير الباب الشرقي روعة. ان جماله يطالعك على حين غرة لو نظرت اليه من جانب السوق القذرة. وفي مقدورك ان ترى المسجد بطابعيه من هذا الباب وان تستمتع ايضا برؤية الكاشاني اللطيف والزخرفة والنقوش والقبة الذهبية وهي تتوهج على صفحة السماء الزرقاء" (٣١). ولم يكتف الرحالة درور عند هذا الحد، وانما اعطى تفاصيل اكثر فيقول: "وقد يتطوع احد المارة فيقودك الى سطح قريب تستطيع ان تشاهد منه منظر الجامع عليك ان تبتهل الفرصة في مناسبة خاصة كيوم عاشوراء لتشاهد صحنه وقد ازدهم بالزوار

والانصار وكل منهم يتابع -المأساة العاطفية- انه منظر حري بالرؤية شريطة ان لا يكون الرائي سريع الانفعال. هؤلاء رجال سعرت فيهم نار الحماسة والعصبية ودماءؤهم تجري مدارا ، واولئك رجال شبه عرايا وهم يلطمون على الصدور ببالغ التأثر، والجموع الغفيرة تتأسى بالبكاء والنشيح عن الحزن العميق. لقد وصفوا المشهد لي على مارويت ورأيته مصغرا ببغداد. وسمحت سيدة من الشيعة لخدمة الجيران المسيحية ان تشاهد المأساة وهي ممثلة وترقب طغيان الاسى على الجموع. وسرعان ما اخذت دموع الخادمة وهي لهيفة الصدر تنسكب غزارا . ويجود الزوار على مشهد الكاظمين ،شأن كربلاء والنجف بكثير من الهبات والمنح .وتنذر النسوة نذورهن له ثم يفدن على المشهد بنذورهن وترمي النقود والجواهر داخل المحيط بقبر موسى الكاظم والمعروف بـ -شباك الكاظم- وتجمع الهبات من قبل سدنة المرقد ثم تسلم الى كيم- الكليدار- ويعتبر القبر عندهم مقدما للغاية وهم ينسبون اليه كثيرا من الخوارق وابراء المرضى، وفي الكاظمية طائفة من الناس تعيش على الزوار، او تحصل على ما يقوم اودها بسبب من تقواها وقدسيتها. وفيها كثير من السادة ومنهم صديق حميم لي، ولقد ضيفنا مرات عديدة وهذا السيد ومشهد الكاظمين بالنسبة الي شيئان متلازمان وهو جليس حلو المعشر وهو يعتم بعمامة خضراء مخضوبة بالسواد" (٣٢). ويختتم الرحالة درور حديثه عن المشهد الكاظمي فيقول: "والكاظمية تبعد اميالا قلائل عن بغداد وترتبط المدينتان بخط ترام تجره الخيول وقد مدت هذا الخط

– الامام الحسين واخاه العباس والامام علي عليهم السلام – عام ١٨٠١ واصبحت المدينة المقدسة كبيرة ترتفع في وسطها قباب جوامعها المذهبة ويقصدها الزوار باعداد كبيرة" (٣٥).

١٠ / رحلة اديب الملك * عام ١٨٥٦ :

كان اديب الملك قد زار العراق وكتب في مذكراته عن رحلته الى الكاظمية، ان يصف لنا الاوضاع في تلك المدينة بالنحو التالي " كان في الكاظمية بيت غير ان اهله لا يتوسدون مخدة الراحة والسارقون لا يعدون فيها خمسة رباطات – خانات- واربعة حمامات حداثتها كثيرة ونخيلها اكثر من القول والبيان. صحن الكاظمين المبارك ١٣٠ ذراعا والامام موسى والامام الجواد مدفونان في ضريح واحد من الفولاذ. القبّة واحدة ولكنها في الخارج اثنتان وهما من الذهب وفيها اربع منارات كبيرة طول كل واحدة ٥٠ ذراعا واربع منارات صغيرة مذهبة من النصف الى الاعلى وكل ما كان من الجواهر فهو في محله ، خلف رأس الامام مسجد كبير جدا أحد ابوابه من وسط القبّة المطهرة . وقد صنع القبّة المطهرة سلاطين الصفرين. وايوانان مباركان واحد في طرف القبّة والاخر في طرف المشرق . يأتي كل سبت نحو الفين او ثلاثة الاف امرأة ورجل يزورونها ومن بغداد القديمة الى الكاظمين اكثر من فرسخ " (٣٦).

١١ / مشاهدات جون اشير John Mallory Asher في العراق عام ١٨٦٤ :

لجون ملري اشير انطباعات عن المشهد الكاظمي في بغداد يصفها كالاتي: " شاهدت قبيل الدخول الى منطقة الكاظمية عبارة من القفف الكبيرة كانت تنقل من الضفة اليسرى

شركة اهلية وتحت اشراف الوالي مدحت باشا والي بغداد الشهير وعربات هذا الترام واهية الوصلات وهم يحملونها اكثر مما تستطيع في ايام محرم والزيارة على وجه خاص. واجرة الراكب على ما اظن (٤ انات) ويمر طريقه بين البساتين الفيح على ضفة دجلة والطريق يبدأ بالمقاهي وينتهي بها ، ولا تنسى ان كل شي في الشرق يبدأ ب- مقهى- وينتهي بها" (٣٣).

٩ / رحلة الرحالة الألماني كارل ريتتر Karl Ritter عام ١٨٥٤ :

يقول كارل ريتتر في رحلته الى بغداد عن المشهد الكاظمي ما نصه " كانت بغداد المدينة برا ونهرا بالسور والابراج وان فيها ٩٦ برجاً على دجلة وعلى البر ١١٤ برجاً فيكون مجموعها ٢١٠ ابراج. ويقدر محيط المدينة بما يقارب عشرة الاف خطوة معتدلة وبين البرجين خمسون ثقباً مزغلاً بين كل ثقب واخر خطوة واحدة . ومقابر المدينة الواقعة على الساحل الشرقي لدجلة توجد في الساحل الغربي للمحلة الامامية تسمى فوشلر قلعة سي – قلعة الطيور- وشمالها مرقد الامام موسى الكاظم ذلك الامام الذي عرف بكظمه للغيظ وهو من احد الاثني عشر اماماً وقد استشهد بالسيف (٣٤) ودفن الى جنبه حفيده الامام التاسع محمد الجواد . "

ويضيف في وصفه تلك المدينة ان يقول مانصه " لقد سكن كثير من المتدينين الفرس الكاظمية حيث يتوافد عليها كثير من الزوار فأصبحت مدينة مقدسة فأرتفعت قباب جوامعها المذهبة ولعلت بين النخيل المحيطة بالمدينة ، معظم سكان الكاظمية من الشيعة وبعد ان نهب الوهابيون العتبات المقدسة في الفرات الاوسط



الى الضفة اليمنى اعدادا من البغال محملة بالجنائز المنقولة من ايران بقصد الدفن في كربلاء او مشهد الامام الحسين . وقد بانث منطقة الكاظمية من بعيد وبانث معها مناثر وقباب المشهد الكاظمي المذهبة وهي تتوسط غابة من النخيل المتدلي من جميع الجهات . وان هذه المنطقة تعتبر مصيفا عظيما لسكان بغداد القريبة منها ويذكر انهم مروا بعد ذلك بمسجد يقع على حافة النهر كان يبدو وكأنه قد قسم الى قسمين ، فتهدم نصف من قبته وما يحيط بها من البناء " (٣٧) . ويضيف الرحالة أشر في مشاهداته عن المشهد الكاظمي فيقول: "وان هذه القباب التي تبدو مع سائر المساجد وانتشار البساتين والنخيل بين البيوت وامتداد الصحراء المحيطة بالمدينة الى حد عقروقوف " (٣٨) .

١٢/ رحلة الرحالة الهولندي انهولت Aanholt عام ١٨٦٦:

في رحلة الهولندي انهولت الى الكاظمية معلومات قيمة عن تلك المدينة ان كانت هذه الرحلة ممتعة فيقول: "كانت من الزيارات الممتعة التي قمت بها زيارة الكاظمية وهي بلدة صغيرة اقامها اخلاص الشيعة حول جامع الامام موسى على مسافة فرسخ من بغداد، ولأجل الذهاب الى الكاظمية نخرج من السوق الكبير الى شاطئ دجلة الايمن ونصعد عدة دقائق الى منحى النهر حيث نطل على منظر جميل لمدينة بغداد وبعد مسيرة نصف ساعة على الشاطئ نصل الى غابة صغيرة رائعة من النخيل وملتقي في كل دقيقة بالعرب والعجم والهنود ، مما يضفي على الطريق حركة عظيمة ويمتطي اكثرهم ظهور الحمير، وهذه الدواب تكرر قرب قصر اخ

شاه ايران حيث يقف عدد كبير منها . وهذه الحمير من جنس ممتاز اصله من جزيرة العرب. واذا ما تركنا الغابة التي اشترت اليها، ادركنا ظهورنا الى دجلة ولاحت لنا في البعيد قبتان ذهبيتان لجامع الامام موسى الاكبر . ولاتمر نصف ساعة حتى نصل الى اولى منازل الكاظمية" (٣٩) . ويختتم الرحالة الهولندي انهولت حديثه عن المشهد الكاظمي فيقول: " الكاظمية بلدة صغيرة حسنة البناء ، فيها سوق كامل التجهيز والشيعة هنا شديدو التعصب، وقد تحملت سيلا من الشتائم لمجرد تقربي من ابواب السور الذي يحيط بالبناء الواسع الذي يقوم المسجد العظيم في داخله . وابواب السور مغلقة بالسلال التي يقبلها المؤمنون باحترام عند الدخول والخروج، ومما سمح لي برؤيته ، ظهر لي ان هذا الاثر المقدس يتألف من المسجد الذي تزينه منارة جميلة في كل ركن من اركانه الاربعة ومن مشتملات واسعة تضم المساكن والمدارس وحجر الدرس للملاي وتلاميذهم. ويقال ان داخل المسجد جميل جدا ولكن محاولة الدخول تؤدي مؤكدا الى القتل في الحال ، ومع انني وقفت على مسافة بعيدة، فان احد ابناء الشعب رأى ان وقوفي قد طال في رأيه فأخذ يسبني ويهددني حتى رأيت الافضل ان انسحب. وقد عدت من هذه الزيارة بالطريق نفسه الذي سلكته في الذهاب" (٤٠) .

١٣/ رحلة ناصر الدين شاه في الكاظمية:
لم يكن ماكتبه ناصر الدين شاه شبيهها بما كتبه الرحالة الأوروبيون ان جاء الى العراق بجولة الى الاماكن المقدسة فكتب انطباعاته عن المشهد الكاظمي ومرقد الامامين عليهما السلام فيقول: "اول اثار العمران التي شاهدتها

بين اغصان واوراق الاشجار المتكاثفة التي تملأ طريقنا قبتين جميلتين متلائتين تشبهان الى حد بعيد مدينة قم في ايران من حيث الشكل وطلبهما بالذهب البراق من الخارج واخيرا بلغنا الكاظمين وهبطنا من الترامواي في محطته التي تقع قرب بوابة المدينة الكبرى وسمعنا خادم القنصلية الذي كان معنا يدعونه بصوت مرتفع وبلهجة تركية لانفهمها جيدا الى مقهى قريبة وقال ينبغي ان نمكث هنا في انتظار الذي سيقدّم بعد ساعتين من بغداد. لقد كان يظن صاحبنا المسكين هذا اننا لم نقدم الى هنا الا لنتنزه في ركوبنا بهذه الحافلة المهشمة وبهذا الطريق المهدم ولعله كان يحسبنا على هذا الاساس اناسا معتوهين ولكننا افهمناه بالاياماء تارة وبالالفاظ تارة اخرى اننا لم نقدم هنا الا لكي نزور المسجد والمقبرة التي هناك ، وينبغي لنا بغير تردد ان نذهب لرؤيتهما . وما ان علم بقصدي هذا حتى بدا الاضطراب والقلق على وجهه واضحين جليين بيد ان اصراري اجبره على الازعان لمشيئتنا" (٤٣) .

وتضيف مدام ديولافوا عن المشهد الكاظمي اذ توردت في حديثها ما نصه: "تظهر ازقة الكاظمين انظف من ازقة بغداد وان اغلب اهالي هذه المدينة وكسبتها هم من الايرانيين الذين جاؤوا لزيارة العتبات المقدسة في العراق وبقوا فيها ، وبعد ان جينا قسما من الأزقة والاسواق سار بنا الدليل الى فسحة كبيرة من الارض وضعت في الجهات الثلاث منها كميات كبيرة من الخضروات والفواكه، اما الجهة الاخيرة التي كانت تقابل باب المقبرة فانها كانت خالية من كل شيء، وكان العمال

مناثر الكاظمين وبقاعها، جاء اهالي الكاظمية لاستقبالي وكانت النسوة يهللن. ترحلت قبل باب الصحن وخرج الشيخ الكليدار وجمع من الخدم وقد شاهدت طرفي القبلة المطهرة والايوان والعمود والسقف ، صنعت بجودة والكاشي جيد جدا ويعنون الان بتذهيب الايوانات من فاضل ذهب قبة العسكريين عليهما السلام لم يكن فرش الروضة والرواق جيدا . فأمرت ان تقاس وان يجلب لها من الزوالي. وكانت الجدران حول الصحن تحتاج الى ترميم . وقلت لأخي المرحوم الشيخ عبدالحسين الطهراني ان يحسب نفقة ذلك الذهب المحيط بالقبّة من الشاه محمد الشهيد وبناء القبّة الاصيلي صنعه الشاه اسماعيل الصفوي وكان التزجيج وسط القبّة من الميرزا شفيح الصدر الاعظم للخاقان المغفور له" (٤١) . ولم يكتف بهذا القدر من الوصف بل اخذ ناصر الدين شاه يصف المشهد الشريف بالقول: "الكاظمان الامامان في ضريح فولاذ واحد كبير جدا والصندوقان الفضة في وسط الضريح الجديد بينهما فاصل صغير وازار الروضة من الكاشي المعرق الممتاز جدا والذي يمكن ان يعد من الجواهر" (٤٢) .

١٤ / رحلة مدام ديولافوا Mdam Dyoulafwa الى العراق عام ١٨٨١ :

جاءت رحلة مدام مارسيل ديولافوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث زارت الرحالة العراق مع زوجها، ومن ثم المشهد الكاظمي في بغداد ، فتركت لنا انطباعاتها عن المكان بالقول: " عند خروجنا من بغداد كانت تبدو عن بعد بين قمم النخل السامقة رؤوس اربع منائر ذهبية متلائة وهي منائر مقبرة الامام موسى الكاظم وعندما قربنا منها رأيت



يدخلون منها زرافات ووحيداناً ولقد دخلت انا كذلك منها وعبرت خلال اكوام البطيخ والرقي والكلم بصعوبة وألم ولكنني كنت فرحة على رغم ذلك ، لانني كما اقول لنفسي ها انذا اطلع الان على تلك المقبرة التاريخية التي طالما تمنيت رؤيتها . ولكنني اي وهم كنت اعيش واي خيال ، فما كاد باعة الخضروات يعرفون بغيتنا حتى تجمهروا حولنا ومنعونا من الدخول وقالوا، الدخول الى ضريح الامام موسى الكاظم ممنوع، انتم نصارى وليس لكم حق الدخول الى مثل هذا المرقد الشريف فأنتم اجدر ان تعودوا ادراجكم وتصرفوا النظر عن تحقيق هذه الرغبة" (٤٤). وتنقل لنا مدام ديولافوا صورة عن الواقع الديني في تلك المدينة حيث لم يسمح لهما من دخول المرقد الشريف فتقول: "دهشنا نحن لهذه الاقوال ووقفنا مأخوذين كالمسمرين في مكاننا لانبدي حراكا لا للهجتهم واسلوب حديثهم ، فالواقع انهم كانوا يتحدثون معنا بأدب ولطف جم ولكننا دهشنا للسبب التافه في منع دخولنا، وعلى اي حال تجمهر الناس يزيد فترة بعد فترة علنا وأخذ جماعة يلومون خادم القنصلية على مرافقته لنا لتحقيق رغبتنا هذه، ورد عليهم الخادم بالفاظ لم نفهمها كانت السبب في هيجان الجمهور المحتشد وابعاده عن المكان بالقوة وبألفاظ نابية جارحة" (٤٥).

واستمرت مدام ديولافوا بوصفها للمدينة والمشهد الكاظمي قائلة: "وفي اثناء تلك الحوادث التي كان زوجي مارسيل يتحمل ضربات والفاظ ذلك الجمع المتجمهر الحائق، لم اضع الفرصة من يدي فلقد استغللت فرصة انشغال الجمهور واخذت اتطلع من

شق باب المقبرة التي كانت مفتوحة على النصف الى داخلها واستطعت ان اشهد بعض مرافق المقبرة. والباب الذي كان في نهايته صحن واسع جميل، وهذا الباب كما تراءى لي عن كئيب مصنوع من الكاشي الملون الذي زوق بالميلا بشكل اخاذ ، وامام هذا الباب يقع رواق طويل تحيط به من الجوانب اعمدة مزينة بقطع من المرايا على اشكال هندسية مختلفة. وعلى العموم لو لم تكن لهذه البناية قبتان ذهبيتان لكان منظرها يعيد الى الازهان منظر قصر جبل ستون* وفي زوايا البناية اربع منائر مرتفعة مطلية اعاليها بالذهب. اما الباقية اقسامها فهي من الكاشي الاخضر. وهذه المآذن حيث يقف المؤذنون ويدعون المؤمنين الى الصلاة . وفي جوانب القبتين كانت تتراءى لي ابراج صغيرة شبيهة الى حد بعيد بمحلات الرقابة التي في اعالي القلاع الحربية . والخلاصة ما ان نجونا من حلقة ذلك الجمهور المحتشد وابتعدنا عنه حتى اخذنا نجول في اطراف المقبرة ونتفرج على جدرانها من الخارج متحررين من كل قيد او خوف، ثم كان ان تشجعنا بعض الشيء فاخذنا ننظر خلال شقوق ابواب المقبرة الى داخلها بكثير من الحذر والوجل واستطعنا ان نرى ما تحتويه البناية فكانت الى جانب المقبرة والمسجد هناك مدرسة وبعض حانات وحمامات انشئت خصيصا للزوار والمصلين . اما مسجد الكاظمية هذا فقد أنشئ في العهد الاسلامية الأولى بصورة بسيطة ولكن الشيعة اضافوا اليه قسما من المرافق كما زينوا جدرانه بنقوش وبفسيفساء على حسب الفن المعماري الايراني منذ قريب بحيث ما زال

البلاط نديا. كما ان قسما من تلك الجدران يتم عمله حتى الان. وان اقساماً من القرب المذهبة تبدو متهدمة وقد تشوه منظرها الجذاب" (٤٦).

١٥ / مذكرات فيتال كونييه VITAL CUNET عام ١٨٩٤:

زار الرحالة الفرنسي فيتال كونييه العراق اواخر القرن التاسع عشر ومن ثم مدينة الكاظمية والمشهد الشريف حيث يصف تلك المدينة بالشكل الآتي: "مركز قضاء الكاظمية وفيها مقر القائم مقامية والدوائر الادارية وهي مدينة صغيرة تقع شمال غرب بغداد على الضفة اليمنى لنهر دجلة على مبعده ٥ كم. ويطلقون عليها تسمية الامام موسى نسبة الى ضريح الامام موسى الكاظم المدفون في الضريح الكبير. ويقطن هذه الضاحية اغلبية فارسية مطلقة ويعد هذا الضريح شأنه شأن اضرحة الحسن العسكري وابي يوسف قبلة للزوار الشيعة والسنة القادمين من جميع اقصية الولاية وخصوصاً من بلاد فارس. ويتوافد عليها ولو بنسبة اقل زوار سنة ويفضل غالبية هؤلاء التوقف عند منطقة الامام الاعظم الذي يقع على الضفة الاخرى من نهر دجلة ويربطه بجسر بمدينة الكاظمية. ومدفون في هذه داخل المسجد الكبير الامام ابن حنبل وهي بأيدي السنة. كما ان ضريح الكاظمين بأيدي الشيعة والذي يحظى بتقدير وتبجيل منهم حتى ان جلالة شاه بلاد فارس ناصر الدين، عمل على تغليف واكساء القبة الرئيسية وسطوح منارات الضريح الستة بورق الذهب الخالص عند زيارته الى الاضرحة الشيعية المقدسة عند عودته من ولاياته وسفرته الاولى الى اوربا عام ١٨٧٣، وجراء تزامم الزوار الشيعة

والسنة المتوافدين على الكاظمية وخصوصاً السنة منهم عند الامام الاعظم تم انشاء طريق للمركبات والعربات من بغداد والى هذه الضاحية منذ اعوام برعاية المشير هداية باشا وتم تشغيل خدمة العربات المستأجرة على هذا الطريق وعلى طول هذا الاخير وعلى شاطئ نهر دجلة كان العديد من الشخصيات المعروفة تشيد مساكن للنزهة تدعى القصور. وفي عام ١٨٧٠ وفي ظل حكومة مدحت باشا تم تسيير خط العربات الترامواي بين بغداد والكاظمية وهو الخط الوحيد الموجود في العراق. ويقوم السكان المحليون وخصوصاً الفرس القاطنين حول ضريح الكاظمين وخلال العشرة الاولى من محرم بأداء الشعائر الدينية احياء لذكرى استشهاد الامام الحسين، ويحظر على غير المسلمين دخول الضريح الكبير في هذه الايام. ويتميز هؤلاء الفرس بالمهارة والحذاقة بشكل عام وهم يصنعون الامشاط الجميلة وبعض المواد المصنوعة من العاج ومن الاصداف وقشرة المحار والمواد المصنوعة من خشب الابنوس والصندل" (٤٧).

١٦ / رحلة ميهاي فضل الله الى بلاد الرافدين وعراق العرب ١٩٠١-١٩٠٢:

بدأت تلك الرحلة في مطلع القرن العشرين، ان زار الرحالة ميهاي فضل الله الحداد العراق ومدينة الكاظمية التي وصفها بهذا الشكل: "انطلقنا الى مدينة الخلفاء العرب بغداد وتمنينا ان يحالفنا الحظ هناك فنعثر على خيول مناسبة يمكن شراؤها. قطعنا مسافة طويلة ونحن نتطلع الى الطريق قبل ان نلمح في البعد القباب الذهبية الاربع لجامع موسى الكاظم. وتمتد بغداد على ضفتي دجلة. كانت



في الماضي عاصمة الخلافة ، اما اليوم فهي مركز ولاية عثمانية تربط جانبي المدينة اربعة جسور عائمة تمر عليها زحمة بغداد الشديدة وهناك قوارب رأسية على الضفة، وهناك واسطة نقل مبتكرة قوارب غريبة الشكل مكورة تصنع من سعف النخيل وتطلى بالقار المجلوب من هيت يشبه شكلها نصف بطيخة. والمدينة بعض شوارعها مزدحمة وتعطي بساتين النخيل والبرتقال المحيطة بالمدينة القديمة الممتدة نحو خمسة كيلو مترات منظرا جميلا . ولم يبقَ هناك من اثار الخلفاء سوى مرقد زبيدة زوجة هارون الرشيد المفضلة وحتى مراقد الائمة المسلمين التي كانت يوما محجا للزائرين تتداعى اليوم . وبين الابنية الحديثة الجميلة هناك دار الكمارك والقصر الانكليزي " (٤٨).

١٧ / مذكرات نيل افراتس Averatec Nile :

يقول المستشرق نيل افراتس في مذكراته عن المشهد الكاظمي والمدينة القديمة ما نصه: "توقفنا عند مقهى انعشنا جدا وكنا قادرين على اتخاذ قرار افضل وعلى السد الذي يؤدي الى بغداد من الجسر رأينا طابورا من العربات تنتظر وعلمنا بان هنالك مقابلة للأمير فرمان فرما وهو نسيب الشاه الذي يسكن بغداد وبسبب هذه الزيارة لم نستطع ايقاف عربتنا في اي مكان على اكثر الاحتمالات وكم كان مريحا ان نلمح منظر المنارات والقبة المرصعة بالذهب لمسجد الكاظم الجميل، وكان منظرا لطيفا دائما، وبدت المنارات رائعة لعيوننا المتعبة بينما تنعكس عليها اشعة الشمس المشرقة، وبعد هذا بقليل كنا قادرين على اكتشاف بعض القباب ومنارات اخرى مضطجين في

وسط حدائق النخيل وبعد ذلك وجدنا انفسنا وسط حشد من البائعين المرعين الى المدينة لبيع منتجاتهم وكانت توجد هناك نساء يحملن جرارا وسلطانية الحليب واخرى يحملن سلالا من الخضراوات او حزما من الحشيش وكان الرجال يركبون حميرا مثقلة بالوقود وجلود الحيوانات " (٤٩).

١٨ / مذكرات وليم ويلكوكس William Willcocks في العراق عام ١٩٠٥ :

اما الرحالة وليم ويلكوكس فيقول في مذكراته عن تلك المدينة ما مفاده: " في ايلول وتشرين الاول عام ١٩٠٥ تفشت الكوليرا في كل مكان فأنتهز العثمانيون الفرصة الممتازة لمضايقة جميع الناس، فوضع العراق الوافدين من جميع دول العالم تحت الحجر الصحي . واذا اراد المرء الانتقال من بغداد الى الضواحي كالكاظمية فانه كان يوضع في المحجر خمسة ايام ثم خمسة ايام اخرى عند العودة. وكان الزوار الإيرانيون المساكين تسلب منهم جميع نقودهم بالاحتتيال او التهديد. وقد وضع احد المهندسين التابعين لي خمسة ايام في المحجر في البصرة عند مجيئه من انكلترا وخمسة ايام اخرى للوصول الى بغداد وخمسة ايام للخروج منها . ولو انه جاء متاخرا اسبوعين لوضع خمسة ايام اخرى في سدة الهندية لان الجانب الايمن من السدة وضع الجانب الايسر تحت الحجر. وقد خفض الوالي اجور الاطباء الى النصف قائلًا انهم اصبحت لديهم فرصة لدخولاتهم " (٥٠).

١٩ / رحلة الرحالة الفرنسي اميل اوبليه Emile Obley الى بغداد :

اما الرحالة الفرنسي اميل اوبليه والذي بدأت رحلته الى العراق في اثناء الحرب العالمية الاولى فيقول: عن المشهد الكاظمي مانصه: " يوجد في بغداد كلها مائة وواحد مسجد صغير وكبير. ففي منطقة الكاظمية نجد ضريح الامام موسى واضرحة ابنائه ، ويعد المسجد الذي يرقدون فيه مكانا للزيارة يؤمه المسلمون. ويتميز هذا المسجد الرائع بثرائه المدهش، اذ تتجاوز عوائده السنوية كهبات مقدمة اليه مبلغ اربعين الف جنيه تركي اي ما يعادل تسعين الف فرنك فرنسي. اما منطقة الاعظمية المقابلة للكاظمية فهي تضم مسجدا رائعا من وجهة النظر المعمارية ، حيث يرقد فيه الامام ابوحنيفة المسمى بالامام الاعظم، الذي كان فقيها كبيرا له شهرة واسعة في عهد هارون الرشيد" ^(٥١). وينقل لنا صورة عن شهر محرم الحرام في مدينة الكاظمية الذي شهده

بنفسه فيقول: " وفي الايام العشرة من محرم تزخر بغداد بنشاط غير اعتيادي ومنظر بديع بسبب كثرة الناس الزائرين وتنوع العادات والتقاليد التي نشاهدها هنا، ويتجاوز عدد سكان المدينة في هذه الايام اربعمائة الف نسمة في حين ان سكانها الاصليين لا يتجاوز المئتي الف وخاصة في موسم الزوار الشيعة القادمين لزيارة الاماكن المقدسة في الكاظمية وسلمان باك وسامراء وكربلاء والنجف حيث يتدفق الزوار الفرس وقسم كبير من المسلمين والهنود والعرب شبه البدو وهم ينتشرون على جانبي دجلة والفرات. اما بالنسبة لمدينة الكاظمية ، وبسبب مجاورتها لبغداد نشاهد فيها ولعدة اسابيع وخصوصا خلال ايام الزيارة نشاطا ملحوظا للزائرين حيث تتراوح اعداد الزائرين لتصل إلى خمسة وعشرين الف وتزداد الى حدود سبعين الف زائر في المناسبات الدينية" ^(٥٢).



الهوامش

- (١) حسين علي محفوظ ، بيوتات الكاظمية ، ص ١٩ ، موسوعة العتبات المقدسة - قسم الكاظمين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- (٢) ستيفن هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق ، ترجمة جعفر الخياط ، ص ٢٠١ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- (٣) محمد حسن ال ياسين ، تاريخ المشهد الكاظمي في بغداد ، ص ٥٦ ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي ، قم ، ٢٠٠٤ ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ٢٠١٣ .
- (٤) ريتشارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ص ٣٨ ، بغداد ، ١٩٦٢ .
- (٥) محمد حسن ال ياسين ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .
- (٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) ، تحقيق: بشار عواد معروف ، ص ١٢٣ ، دار الغرب الاسلامي ، طرابلس ، ٢٠٠١ .
- (٧) حسين علي محفوظ ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .
- (٨) وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي ، الجزء الثاني ، الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ، ص ٣٦٠ ، دار المرتضى ، بيروت ، ٢٠١٣ .
- (٩) مجيد السامرائي ، صور المستشرقين في العراق في القرن التاسع عشر ، ص ٦٧ ، بغداد ، ١٩٩٩ .
- (١٠) المصدر نفسه ، ص ٦٨-٦٩ .
- (١١) يوهان فك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية الاسلامية ، ترجمة عمر لطفي ص ١٨٩ ، ط ٢ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
- (١٢) رحلة ديلالفايه الى العراق ، ترجمة بطرس حداد ، ص ٢٢ ، شركة الديوان للطباعة ، بغداد ، ٢٠٠١ .
- (١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
- (١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤-٢٥ .
- (١٥) بغداد في رحلة نيبور ، ترجمة مصطفى جواد ، ص ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- (١٦) وقع الرحالة نيبور في خطأ عندما قال من ائمة الفرس فالامامان موسى بن جعفر ومحمد الجواد يرتبط نسبهما الى الرسول الاعظم (ص) وهما من
- نسل عربي هاشمي ، انظر: وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .
- (١٧) في ترجمة مصطفى جواد اعدم وذلك لتأمره وتعاونه مع العلويين بينما الحقيقة هو أنه مات مسموما ، المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .
- (١٨) المصدر نفسه .
- (١٩) بغداد في رحلة نيبور ، المصدر السابق ، ص ١٣-١٤ .
- (*) الفرسخ = ثلاثة اميال - الميل = ٣٤٤ ، ١٦٠٩ متر .
- (٢٠) رحلة اوليفيه الى بغداد ، ترجمة يوسف حبي ، ص ٣١ ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- (*) ابوطالب بن محمد خان وكان ابوه يلقب بالحاجي وبالبيك اصله عثماني وهو سائح واديب زار العراق في القرن الثامن عشر لمزيد من التفاصيل ينظر: رحلة ابي طالب خان الى العراق واوروبا ، ترجمة مصطفى جواد ، ص ١٢ ، دار الوراق للنشر ، لندن ، ٢٠٠٧ .
- (*) ان هذا التعداد غير وارد عند الشيعة فموسى الكاظم (ع) هو الامام السابع وحفيده الامام محمد الجواد (ع) هو الامام التاسع ، ينظر: صائب عبدالحميد ، معجم مؤرخي الشيعة ، ص ٢٤٣ .
- (٢١) رحلة ابي طالب خان الى العراق واوروبا ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
- (٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٦ .
- (٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٧-١٨ .
- (٢٤) لعل المقصود هو ضريح الامام موسى بن جعفر وحفيده الامام محمد الجواد ، ومن غير المعقول أن الرحالة جاك روسو كان يقصد الامام محمد الباقر لانه قال انه من سلالة الامام علي (ع) ، ينظر : صائب عبدالحميد ، المصدر السابق ، ص ٣١١ .
- (*) قزلباش كلمة تركية وتعني قزل اي الاحمر وباش اي الرأس وهو كغطاء رأس لبعض جنود الفرس ولرماة النبال ، ينظر : وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .
- (٢٥) لوي جاك روسو ، رحلة من بغداد الى حلب

عام ١٨٠٨ ، ترجمة بطرس حداد، ص ١٠٨ ، مطبعة ديوان ، بغداد، ٢٠٠٤ .

(٢٦) رحلة المنشي البغدادي الى العراق، ترجمة عباس العزاوي ، ص ٨٩، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٨ .

(٢٧) عبدالجبار ناجي وحسين البهادلي، بغداد في كتابات الرحالة العرب والاجانب من القرن التاسع عشر الى القرن الخامس الميلادي، ص ١٩ ، بيت الحكمة ، بغداد، ٢٠٠٣ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠-٢١ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٣٠) الليدي درور ، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل ، ص ٣٣، بغداد ، ١٩٦١ .

(٣١) المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٥ .

(٣٢) الليدي درور، على ضفاف دجلة والفرات، ص ١٢٢ ، دار الوراق للنشر ، بيروت، ٢٠٠٨ .

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢٣ .

(٣٤) توهّم الرحالة كارل ريتتر عندما اشار الى ان الامام استشهد بالسيف والمعروف وحسب الروايات التاريخية المشهورة انه استشهد مسموما ، ينظر : صائب عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٣٥) مذكرات ورحلات الى بغداد ، ترجمة كاظم سعد الدين ، ص ٢٤٥ ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ٢٠٠٩ .

(*) عضو الجمعية الملكية في لندن وقد بدأ رحلته الى ديار بكر والشام والموصل مرورا بالمدن العراقية الاخرى عام ١٨٦٠ ، ينظر: رحالة اوروبيون في العراق، دار الوراق، لندن ٢٠٠٧ ، ص ١٨٩ .

(٣٦) المصدر ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٣٧) بغداد في القرن التاسع كما وصفها الرحالة الاجانب ، ترجمة سعاد هادي العمري ، ص ٣٨٨ ، ط ١، دار العربية للموسوعات ، بيروت، ٢٠٠٢ .

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٨٩ .

(٣٩) ابراهيم امين المميز ، الاستشراق ورمانسية الشرق ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٩ ص ١٣٤-١٣٥ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

(٤١) علي خضير المشايخي ، ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦ ، ص ٦٨ ، بغداد ، ١٩٨٧ .

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٩-٧٠ .

(٤٣) رحلة مدام ديولافوا من المحمرة الى البصرة وبغداد ١٨٨١ ، ترجمة علي البصري، ص ٩ ، الدار العربية للموسوعات ، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٧ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ١١-١٢ .

(*) قصر تاريخي قديم ومعنى اسمه القصر ذو الاربعين عمودا ويقع في اصفهان ، ينظر: علي خضير المشايخي ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٤٦) رحلة مدام ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٤٧) بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين ، ترجمة وليد كاصد ، ص ٦٩ ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٩ .

(٤٨) ميهاي فضل الله الحداد ، رحلتي الى بلاد الرافدين وعراق العرب، ترجمة ثائر صالح ص ١٢-١٣ ، بيروت ٢٠٠٤ .

(٤٩) مذكرات ورحلات الى بغداد ، ترجمة كاظم سعد الدين ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٥٠) ويليم ويلكوكس ، جنة عدن ، ترجمة محمد الهاشمي ، ص ٥٦ ، دار الوراق ، لندن، ٢٠٠٦ .

(٥١) بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .



Al - Kadhimi spectacle in the writings of foreign travelers

By: Dr. Ahmed Abdel Wahid Abdel Nabi

Abstract

- The emergence and development of cities is an important element in the advancement of civilization as a realistic model of urban stability.
 - Al-Kadhimi drew attention to Orientalists during their trips to Baghdad and took every orientalist to write a visit to the scene of Kazemi chronicled the historical, urban and religious aspects.
 - Foreign travelers first to warn in their writings on the importance of Baghdad in particular, as well as the effects in the country, including the scene Kazimi.
 - The foreign travelers who visited Baghdad and published many books and studies focused on the political, economic and social conditions of Baghdad and the Kadhimi scene.
 - It was natural that Mesopotamia was the focus of attention to a number of tourists, travelers and Orientalists, because of that country's long-standing fame and reputation in the worlds of civilizations and relics and the news and incidents in the Holy Scriptures.
- Most of them traveled to varying degrees of observation, description and fact-finding in the recording of their observations. Most of them were keen to differentiate between viewing and narration when recording their information, highlighting the value of trips as a source of human cultures and monitoring aspects of people's daily lives in the Baghdad community over a period of time Specific. So the trips had cultural value.
- We found that travelers and orientalists have made great achievements in their interest in the rich heritage of the city of Baghdad in general and the Kadhimiya in particular, and in the last four centuries has been characterized by great activity in the field of trips and tourism.

